

تفسير الالفاظ العباسية

في نشوار المحاضرة

(تابع لما في الجزء الماضي)

وفي (ص ١٤١) . في الكلام على جرار الغالية التي كانت في خزائن الخلفاء
« قال أحضرني فأحضره حُبًّا عظيمًا تحمله خدم عدةً بدهق ومصقلة ففتح فاذا
الغالية قد ابيضت » . المفهوم من العبارة أنهما شيئان يحمل بهما وقد ورد الدهق
في تاريخ الوزراء للصابي بهذا المعنى أيضاً (ص ٦٥) في قوله « ولما طهر المقتدر
بعض ولده في سنة خمس وثلاثمائة أنفذ إلى الوزير أبي الحسن بن الفرات ثلاث موائد
استدارة المائدة الكبيرة منها خمسون شبراً يحملها حمالون بدهوق » ولم يفسره مصحح
الكتاب في آخره كما فعل ببعض الألفاظ الواردة فيه . وقبل ان نبيّن ما ظهر لنا
في هذا اللفظ نورد ما ورد عنه في معاجم اللغة في القاموس « الدهق محرّكة
خشبتان يهمز بهما الساق فارسيته اشكنجه » ومثله في اللسان الآ أنه لم يذكر
فارسيته ولكنه قال في أواخر المادة « الدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو
بالفارسية اشكنجه فجعله اسماً لهذا النوع من العذاب لا للخشبتين اللتين يعذب بهما
وهو الموافق لما في المعاجم الفارسية فان (اشكنجه) فيها معناها التعذيب بهاتين

الخشبتين . وفي الحاسن والمساويء للبيهقي (ص ١٥٩) في كلامه على تعذيب المنصور لاحدى الجوارى « واذا هو يسألها عن محمد بن عبدالله وهي تقول ما أعرف مكانه ودعا بالدهق وأمر به فوضع عليها فلما كادت نفسها أن تلتف قال أمسكوا عنها» والمراد هنا آلة العذاب كما لا يخفى . وهو بمعنى هذه الآلة أو التعذيب بها لا يوافق ما في عبارة النشوار الآ أن يكونوا أطلقوه على خشبتين يستعان بهما على الحمل على التشبيه بخشبتى العذاب وهو ما لا نستطيع الجزم به . فالظاهر أنه محرف عن (الوهقى) بالواو وهو حبل كالطيول تشد به الابل والخيل لثلاثئذ ويطلق أيضاً على حبل مفار يرمى في أتوطة فتؤخذ به الدواب والمراد الأول أي تحمل بحبل متين بحكم الاغارة .

أما (المصقلة) فهي آلة الصقل وفي القاموس «المصقلة كمنكسة خرزة يصقل بها» ولا يخفى بعدها مما هنا بعد الأرض من السماء والذي يظهر لي فيها شيان الأول أن تكون محرفة عن (المعتلة) أي آلة العتل من قولهم عتأه اذا جرته عنيقاً وحمله ومنه قول العامة بمصر الآن (العتال) للحمال الذي يحمل الأحمال الثقيلة ويقولون (فلان ماشي يعتل) اذا مشى متثاقلاً كأنه يحمل حملاً . والثاني ان تكون المصقلة على لفظها فتكون محورة عن الاسقالة أو السقالة وهي التي يقال لها في اللاتينية (Scala) وفي الايتالية (Scala) وفي الفرنسية (Escale) وفي التركية (إِسْكَه) ومعناها الميناء ويراد بها ايضاً خشبة تمد من السفن الى أرصفة الموانئ ليعبر عليها المسافرون في صعودهم ونزولهم . وقد يستبعد ذلك في باديء الرأي ولكننا سنقص من نيا هذا اللفظ وتعدد صورته ومعانيه عند المؤرخين ما يزيل هذا الاستبعاد فنقول : قال شارح القاموس في المستدرک على (سقل) «والاسقالة بالكسر ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال ليتوصلوا بها الى الخال المرتفعة والجمع أساقيل عامية . واستعملها ابن شاکر في عيون التواريخ بلفظ (سقالة) وأراد بها السلم من الخشب فقال في حوادث سنة ٦٤٦ « وفيها احترقت المئذنة الشرقية بجامع دمشق فاحترق أعلاها وجميع ما فيها من البيوت والمطالع جميعها فانها كانت سقالات خشب وسلم الجامع بفضل الله تعالى ورحمته » واستعملها أبو ذر في كنوز الذهب في تاريخ

حلب بمعنى الخشبة التي يمرّ عليها من مكان الى مكان ووصفها ابن جبير في رحلته ولكنه لم يسمها وأوردها ابن بطوطة في رحلته (ج ٢ ص ٦ من طبعة مصر) بلفظ الاصلقات . وفي تاريخ ابن اياس (ج ١ ص ٢٠٤) «وقيل ان أختاب أساقيل العمارة قومت بمائة ألف دينار» وفي الضوء اللامع «سقوطه من اصقالة» وفي المنهل الصافي لابن تغري بردي «مدّ له الاسقالة» واستعملها المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٦٩ من طبعة بولاق . وج ٢ ص ٣٨٥ من طبعة باريس) في كلامه على وصف القيوم الا أنه عنى بها القناطر فقال «واتما يدخل الماء القيوم بوزن الحجر وجعلت الاسقالة وهي القناطر ليخرج الماء منها» . وفي خطط المقرئ (ج ١ ص ١٩١ من طبعة بولاق) «يسقون مجالسهم بختب السنط وبختب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدري من أين تأتي» أي روافد من الخشب مسحوجة مهيأة وفي هذا الجزء (ص ٤٠٥) «ووجد به سنة بضع وسبعين وسبعائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض فعمل لها ابن عابد رئيس الحراز بقى السلطانية أساقيل وجرتهما الى المدرسة» أي روافد وضعت تحت العمودين للاستعانة على حملها وجرتهما .

فتبين من ذلك ان استعمال هذا اللفظ كان مألوقاً عندهم وان الغالب اطلاقه على خشبة يعبر عليها أو يقف عليها البناءون أو يستعان بها على جرت الأتقال . ولم تزل معروفة عند العامة بمصر بالاسقالة بكسر الأوّل ويعنون بها خشبة العبور الى السفن والخشبات التي يصعد عليها البناءون ويقفون عليها . ولم أعتز عليها بالميم في أوّلها الا في الروضتين (ج ٢ ص ١٦٣) في قوله «اتخذ مصقالاً كأنه سلم» . فلا يستبعد بعد هذا أن تكون المصقلة في عبارة النشوار رافدة يستعين بها الخاملون على حمل الأتقال ولعلها التي يحمل طرفاها على كفتي رجلين ويناط بها جبل يحمل فيه الحمل فهي على هذا عريضة الوزن أعجمية المادة مؤنثة التعريب .

(نقطة) العرب تطلق الميربعة على الخشبة التي ترفع بها الأتقال على ظهور الدواب بأن توضع تحت الحمل ويأخذ رجلان بطرفيها فيلقيانه على الدابة فلا مانع من اطلاقها على تلك التي تكون على كفتي رجلين بل يظهر لنا ان هذا الاستعمال فيها منصوص عليه

فقد جاء في فسخ الطبيب (ج ٢ ص ١١٤٠ من طبعة بولاق) « قال ابن عليم في شرحه لأدب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهي خشبة حمالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه » ولم ترد الموسعة بهذا المعنى في شيء من النصوص اللغوية ولا نَحَالِهَا إلا محرقة في النسخة عن المربعة . ونقول العرب أيضاً تدالخ الرجلان الحمل تدالحا إذا حملاه بينهما على عود قال المطرزي في شرحه على المقامات الحريرية « وفي حديث سلمان (١) انه اشترى هو وابو الدرداء لحماً فتدالحا بينهما على عود أي حملاه موضوعاً عليه وأخذوا بطرفيه » انتهى .

(نُتْمَةٌ أُخْرَى) يرى بعض اللغويين العصريين تسمية سقالة البناء بالمحالة اعتماداً على قول القاموس انها « الخشبة التي يستقر عليها الطيَّانون » وهو وهم نشأ عن وهم فقد بين شارحه أن الصواب في (يستقر) يستقي أي ان المراد بها البكرة العظيمة التي يستقون عليها ولم تزل معروفة عند العامة بمصر باسم (الدولاب) وهي بكرة جافية من الخشب تكون عند البنائين والطيَّانين .

(الدستنبو)

وفي (ص ١٤٦) . « ان المتوكل اشتهى أن يجعل كل ما نفع عليه عينه في يوم من أيام شربه أصفر فنصبت له قبة صندل مذهبة بمحالة بدياج أصفر مفروشة بدياج أصفر وجعل بين يديه الدستنبو والأترج الأصفر وشراب أصفر » الخ . والظاهر من العبارة ان الدستنبو ثم يشبه الأترج وورد في الأغاني (ج ١٨ ص ٣٨ من طبعة بولاق) بلفظ دستنبوية أي الواحدة منه في قصة تحاميت عن ذكرها ولا يمتنع أن تستر فيها بشيء كالكرة . وذكر الراغب في محاضراته (ج ٢ ص ٣٤٠) الدستنبوي (٢) مع الأترج والليمون وأورد في وصفه يبتين في أحدهما تشبيهه بالكرات ووصف قشره بأنه مندر أي منقط وفي الآخر وصف لبته بأنه كالكافور في البياض . وفي ديوان الطنراني (ص ١٢٥ من طبعة الجوائب) آيات في وصف الدستنبوي وذكر تعدد ألوانه وردت بعد وصفه للتاريخ وهي :

(١) في النسخة سليمان (٢) في النسخة الدستنبول وهو تحريف .

كرات دستنبوية فضدت مختلفات الشكل والمنظر
 بمستدير الشكل ذي سمرة كأنه جمجمة العنبر
 ولابس للنور ذي نَمرة والحسن كل الحسن للأنمر
 وعسجدي اللون ذو صفرة ضم الى ترب له أحمر
 كأنه المربخ في لونه قارنه في برجه المشتري

فالصواب في الدستنبوي الوارد في النشوار الدستنبوي بالياء في آخره والواحدة دستنبوية وهو لفظ مركب من كلمتين فارسيّتين من دست بمعنى اليد ومن أنبويه بمعنى الرائحة على ما في بعض المعاجم الفارسية والتوم أعرف بلغتهم ولكن يلاحظ أن (أنبويه) يراد بها في الغالب الرائحة الكريهة وقد تستعمل في مطلق الرائحة ولهذا نرجح أن يكون التركيب من دستان (١) بمعنى الأيدي ومن بوي بمعنى الرائحة ألا أنها تخص في الغالب بالرائحة العطرة بل قد تطلق على نفس العطر وهو الألتق بمعنى الدستنبوي لأن المراد به عندهم كرات تصنع من العقاقير العطرة وتحمل في الأيدي لاشتغالها ويطلق أيضاً على نوع من الثمر كالبطيخ الصغير مخطّط القشر يسميه أهل الشام بالشّمّامات . وذكره ابن البيطار فقال : يطلق على شينئين أحدهما نوع من البطيخ صغير يعرف بالشام بالشّمّامات وبالأنفاح مستدير مخطّط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتّابية (٢) الخ والثاني جنس من صفار الأترج يقال له أيضاً شّمّام الأترج ولا ريب في أن المراد في النشوار الثاني .

(لها بقية)

اصمد زيمور

(١) جمع دست على دستان من المجموع الشاذة عندهم لان الجمع بزيادة الألف والنون في الفارسية خاص بذوي الروح (٢) العتّابية بفتح الأوّل وتشديد الثاني ثياب مخطّطة ومنها قالوا للحجارة المخطّطة العتّابية وهي المسماة عند الافرنج Zebra والمقام لا يحتمل تفصيل الكلام عليها .

